

تقنيات

للاستاذ أنور المعداوي

بين بلزك ووستوفسكي :

في مقالكم القيم الذي ظهر في العدد (٨٨٩) من الرسالة ، تحدثتم عن أثر القصاص الفرنسي بلزك في سقل الموهبة القصصية عند الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل ، وذلك عن طريق القراءة والدراسة والاحتذاء .. وافتد وردت في ثنايا المقال فقرة من الفقرات قلم فيها بعد شيء من الرض والتمهيد : « وجاء اليوم الذي كان يحلم به الزوج وتحلم به ، وخرجت إلى حيز الوجود « ذهب مع الريح » .. أول نغمة من نغمات الكاتبة الفرنسية العظيمة ، أستاذ مرجريت الذي درست فن القصص على يديه ، وأستاذ الأساندة في فنه بلا جدال » !

قلم هذا عن بلزك ، وهو قول يعبر عن رأيكم في الكاتبة الفرنسية وخلاصته أنه أعظم كتاب القصة بلا استثناء .. فما هو موقفكم من هذا الرأي الآخر الذي طلع به علينا الأستاذ العقاد في عدد أغسطس من « الهلال » ، حيث قال في معرض الحديث عن القصاص الروسي دستوفسكي : « ذلك هو دستوفسكي العظيم ، دستوفسكي الخالد ، دستوفسكي الذي لا يملو على منزله في القصة وإن يملو عليها فيما أظن كاتب من كتابها المبرزين » ؟ ترى هل اطلعت على هذا المقال الذي كتبه الأستاذ العقاد ؟ وإذا كنتم قد اطلعت عليه فكيف توفق نحن القراء بين نظرتين ، تدفع إحداها ببلزك إلى مقدمة الصفوف بينما تقصيه الأخرى عن مكانة لتحل محله دستوفسكي ؟ .. نحن في انتظار رأيكم على صفحات الرسالة .

عمرانه الطيحي

« دمشق سورية »

حقيقة نحب أن يعلمها الأديب السوري الفاضل ويعلمها غيره من القراء ، وهي أن اختلاف الآراء حول قيم العباقرة من أهل الفن أمر لا غرابة فيه .. وكيف لا تختلف الآراء وهناك تلك الحقيقة

رب يوم كنت أفنى فيه شوقا وانتظارا
شارد الاحساس ، حيه ران الأمانى ، مستظارا
وتوارى اليوم لم أش مر به لما توارى

كنت أخشى الموت لما كنت أحييا مطمئنا
كان لى فى الحب قلب بهواه يتغننى
نم صار القلب يمسكى حبه مذ غبت عنا
يا حياتى لست أدري لحياتى أى معنى !

أنا لن أنساك مهما طال بالذكرى عذابى
كيف أنسى نور أيامى ، وأحلام شبابى ؟
فأنا أبكى فأنسى فأنسى لما بى ا
واعذرني حين يأنى ك على الهجر عتابى
واذكرني ، فسانا نلتقى بعد الفياض

ابراهيم محمد نجما

نحن كنا فى ظلال الحب ، للحب نغنى
نحن كنا نقطف الأحلام من روض النغنى
ثم غاب الروض والاحلام .. لما غبت عنى ا
يا حياتى خبريني أى شيء كان منى ؟

كالورود الذابلات هكذا صارت حياتى
مكذا ضيقت عرى فى الأمانى الضائعات ا
لم أزل مذ غبت عنى هائما فى ذكرياتى ا
ذاهل الاحساس حتى لم أعد أعرف ذاتى

إن دعائى الليل طارت نحوه روحى الحزينة
واستقرت فى يديه وهى حيرى مستكينه
ومضت تشكو إليه وهى بالشكوى ضنينة
غير أن الليل يفرى كل روح بالسكينه

لم أعد أخشى من الموت ، فقد مت مرارا 11

الروسي كلام لسان بالمقارنة بين الشاعرين ، ثم لا يعود إلى مكانه إلا وقد خفض من تدر الأول ورفع من شأن الأخير . وهكذا كان حاله في كل موقف ينطرق الحديث فيه إلى المفاضلة بين أدباء وطنه وأدباء غيره من الأوطان ، إلا بلزاك .. فقد كان رأيته فيه فوق كل شك وفوق كل اتهام ، حتى لتتوارى العصبية الإقليمية ولا تبقى غير كلمة الحق يجهر بها في إعجاب منقطع النظير . وحسبنا من دستوفسكي نقديراً لبلزاك تلك الجملة التي شنها على الناقد الروسي « بلنسكي » لتفضيله إحدى قصص « تولستوي » على « أوجيني جراندي » ١١

ولقد قلنا ونحن نستعرض جوانب المأساة القاصة عند بلزاك ونشير إلى مزياء : « لقد كان بلزاك دارس نفسيات من الطراز الأول ، حتى لتستحيل النفس الإنسانية تحت لمسات ريشته إلى غرفة مفتحة النوافذ والأبواب . وكان رأس شخصيات لا نظير له ، خفي لتطالعك النماذج البشرية في مساحة عرضه الفني كما تطالعك في ساحة العرض الكبرى ونمى بها الحياة ... وكان يستخرج الحوادث والشخصيات لإبراز فكرته العامة التي ينسج خيوطها العرض والحوار ، فإذا هذه الفكرة منشورة الجناحين على حدود القصة تمتد ظلالها من البداية إلى النهاية ... وكان في التزامه لمصر الواقعية الفنية مثلاً أعلى للرقابة الحسية والنفسية ، حين تملأن في خط اتجاه فكري واحد ينتظم كل مآداه من خطوط » .

ويقول الأستاذ العقاد عن دستوفسكي في مقاله الذي نشر في الهلال : « فالواقف النramية من أم المشوقات في القصة على العموم ، ولكنك لا ترى رواية لدستوفسكي تحمل فيها التراميات في المحل الأول ، ولعلها لا ترتقي في معظم رواياته إلى الرتبة الثانية من مراتب العناية ، فهي فضول يأتي في السياق اضطراراً ويوشك أن يسقط من الحساب لولا أن إسقاطه دفعة واحدة محافة للواقع في العلاقات بين الناس ... ومن نواحي التشويق التي لا يكثر لها دستوفسكي تضخيم الحوادث والإكثار من المزعجات أو الطوارق التي تهول المسدد الأكبر من قراء القصص . فربما دارت القصة كلها على حادثة واحدة من الحوادث

الأخرى التي تدور حول اختلاف الأذواق ، وتنتهي إلى أن الذوق هو دعامة كل نظرية وسند كل لمحة وأساس كل ميزان ؟ لا عجب إذن من أن ينظر الأستاذ العقاد إلى دستوفسكي نظرتنا إلى بلزاك ، وأن يتنازع القصاصان الخالدان مكان الصدارة في عالم النقد بما خلفاه للإنسانية من تراث عظيم »

الأستاذ العقاد مجيب كل الإعجاب بدستوفسكي لا يكاد يفضل عليه قصاصاً سواه ، وهو لا يقف وحده في مجال الإعجاب بسيد كتاب القصة الروسية وإنما يقف إلى جانبه الكاتب الفرنسي الكبير أندريه جيد . وكاتب هذه السطور مقدر كل التقدير لبلزاك لا يكاد يعدل به أحداً في مزياء ، وهو لا يتفرد بهذا التقدير لسيد كتاب القصة الفرنسية وإنما يشاركه فيه الكاتب الروسي العظيم فيدور دستوفسكي .. وإذا شهد دستوفسكي لبلزاك فهي الشهادة التي يمتز بها النقد ويحملها من مقاييسه في أبرز مكان ١١

هذه حقيقة لا يجادل فيها كل مطلع على تاريخ دستوفسكي وكل دارس لحياته الفنية ... لقد قرأ الكاتب الروسي كثيراً من آثار بلزاك قبل أن يتناول قلعه ليخرج للناس أول قصة ، وكان إعجابه به هو إعجاب المترف بالفضل حين يتمثل في القول المأثور أو الرأي المكتوب .. وأبلغ الدلالة على هذا الإعجاب هو إقباله في مطلع الشباب على إحدى روايات بلزاك يقرأها في نهم ويدرسها بعناية ، ثم يأخذ في نقلها إلى لفته كنموذج رفيع لأدب القصة ، ونمى بها رواية « أوجيني جراندي » التي نشر ترجمتها في إحدى الصحف الأدبية الروسية »

حدث هذا على الرغم من تلك العصبية الإقليمية التي اشتهر بها دستوفسكي ورمى في سبيلها من مؤرخي الأدب بأقصى النموت والأوصاف .. كان بفضل الشعب الروسي على غيره من الشعوب : فتقافته في رأيه هي خير الثقافات ؛ وحضارته في نظره هي أرق الحضارات ، وقس إلى ذلك أغلب آرائه وأحكامه حين تدعو المناسبة إلى وضع الأدباء الروسين في الميزان ... هو مفتون بشعر « هيجو » الفرنسي يردده بينه وبين نفسه وبين الأصدقاء ، ولكنه ينتصب واقفاً على قدميه ليدافع عن شعر « بوشكين »

على النفوس في السريرة الإنسانية كما وهبه كبرى من مواهبه حقيقة ناصعة بدرجة تمنحها فن الكاتب الفرنسي فيها في هذه الموهبة متساويان. ولكن بلزاك يتفوق على صاحبه حين يجتمع له تلك العناصر المشوقة التي لم يكن دستوففسكى يكثر لها على التحقيق. وتبقى ناحية أخرى في فن الكاتبين من شأنها أن تنير بحثاً منفصلاً في أدب القصة، ومحوها أن دستوففسكى كان أكثر فهماً للحياة من بلزاك وأن بلزاك كان أعمق تذوقاً للحياة من دستوففسكى.. وستحدث في عدد مقبل من الرسالة عن شتى الفوارق الفنية بين طبيعة «الفهم» وطبيعة «التذوق» تحت هذا العنوان: «القصة بين فهم الحياة وتذوق الحياة»^١

مول رأى فربهم في أهم الكتاب:

قرأت لكم في تمقيبات العدد (٨٨٩) من الرسالة كلمة تحت عنوان «الانتاج الأدبي بين الأصل والترجمة» تقولون فيها ما نصه: «أما عن وجود التفاوت بين الأصل والترجمة في الروح فهذا أمر لا جدال فيه».. وتقولون في نهاية الكلمة: «ومهما بلغ المترجم من الأجادة والصدق والأمانة فإن روح النص في غير لنته لا يمكن أن تسمو إلى المستوى الحقيقي لهذه الروح في لغتها الأصلية التي يتذوقها المتذوقون»^١

قرأت ذلك ففقت مسرعاً يدفعني شعور خفي إلى البحث في أعداد الرسالة السابقة وسرعان ما وجدت ما كنت أبتغيه. ففي العدد (٨١٧) كلمة في تمقيباتكم بعنوان «كاتب لا يعرف قدر نفسه» رددتم بها على الأستاذ سلامة موسى الذي كتب في العدد (١٨٨) من السامرات كلمة جاء فيها: «وقد ترجم من كتب جتية إلى العربية كتابان، الأول «آلام فرتر» الذي (أفنه) وترجمه الأستاذ أحمد حسن الزيات، والثاني «فاوست» الذي ترجمه الدكتور محمد عوض محمد... وكلا الترجمتين لا تحتفظ بالروح الأصلية لصق الشاعر الألماني، وعلى من يريد الوصول إليه أن يرجع إليها في الألمانية أو الفرنسية أو الإنجليزية».. وقد هاجمتموه هجوماً عنيفاً مرا... وكنتمكم الأخيرة تدل الرء على اتفاقكم في الرأي... فهل يا ترى غير الأستاذ الناقد رأيه؟..

اليومية، وهي تشتمل على مئات من الصفحات... وقد ما يتحدث هذا الكاتب الموهوب عن «الشخصيات» المظلمة التي تعود الناس أن يستطلعوا أنباءها ولو كانت من نوافه الأنباء، فمظم شخصياته من صغار القوم الذين يمدون في المجتمعات بالألوف والملايين، ولكنه يجملهم على الرغم من ذلك «مهمين» جداً كأنهم ذوو قرابة يشغلون بال القارىء لقرايتهم لأنهم ذوو خطر أو لأن حوادثهم ذات بال.

هذه هي النواحي التي لا يكثر لها دستوففسكى في رواياته، فليس هو كاتب غراميسات ولا كاتب جرائم ولا كاتب بطولات ومظاهر تروع الناس بالمناصب والألقاب... وعلى الرغم من هذا كله يكتب ويشوق ويبلم الغاية في التشويق والإبداع، فلولا قدرة خارقة في ذلك القلم لما استطاع أن يرتفع إلى القمة العليا بين كتّاب الرواية في جميع العصور! ما هي هذه القدرة الخارقة؟ هي القدرة على النفوس في السريرة الإنسانية، ففي بضع صفحات ينتقل بالقارىء من الشاطئ إلى أعماق الأغوار الإنسانية فإذا هو غارق معه في بحر لحي لا يحفل فيه بالأرض والسماء، ولا يسأل أهو في ربيع أو شتاء، أوف صباح أو مساء، لأن «معمان» هذه النفوس التي نفوس فيها يشغله عن الدنيا وما فيها ويبلم من طغيانه على خيال القارىء أن يتوهم أنه عائش في قلب الرواية، فهي عنده الدنيا الحقيقية والدنيا التي تحيط بها هي الخيال»^١

هذه كلمات تصدق على فن دستوففسكى كل الصدق وتنطبق عليه كل الانطباق، اللهم إلا في موضع واحد يختلف بشأنه مع الأستاذ العقاد، وهو قوله بأن دستوففسكى لم يكن كاتب جرائم. الحق أن أحداً من القاصين لم يتناول الجرعة في قصصه بالتحليل العميق كما تناولها هذا الكاتب الفنان: هناك في روايته «السادج» عامة، وفي روايته «الشياطين» خاصة، وفي روايته «الجرعة والمقاب» على الأخص.. ولقد كان تحليله للجرعة في هذه الروايات الثلاث منصّباً على الناحية النفسية والخلقية والاجتماعية! وكل ما ذكره الأستاذ العقاد بعد ذلك من قدرة دستوففسكى

وإذا كان ، فهل تنظر أنصاف الأستاذ سلامة من قلم كقلم
المعداوى ؟ .. الأمل حبيب .. وتقبل سلاما من المعجب .

رجاء عبد المومن انفسه

« طالب ترحبى »

لودق الأديب الفاضل فيما رمينا إليه من معنى في هاتين
الفقرتين اللتين نقلهما من كلمة سابقة ، ولو دقنا مرة أخرى فيما
رمى إليه الأستاذ سلامة موسى لأدرك أننا غير متفقين معه في
الرأى كما يقول .. فكلمة (أفه) التي ينسبها سلامة موسى إلى
ترجمة الأستاذ الزيات لقصة « ألام فتر » ، هذه الكلمة ترمي
إلى تجريد الترجمة الزياتية من الصدق والأمانة وهما لازمتان من
لوازمها الحقيقية ... وكلته الأخرى التي يقول فيها : « إنها
لا تحتفظ بالروح الأصل لقصة الشاعر الألمانى » ترمى هى أيضا إلى
نفي كل أصالة فنية عن حقيقة تلك الترجمة ، وهى صفة أولى من
صفاتها الجوهرية !

هذا السخف الذى لا يستند إلى سرعة واحدة من المدل
والإنصاف ، هو الذى دفعنا إلى كتابة تلك الكلمة في الرد على
باطل الأستاذ سلامة موسى في مجلة المسامرات ... ومع ذلك فإن
قولنا : « ومهما بلغ المترجم من الإجادة والصدق والأمانة فإن
روح النص في غير لغته لا يمكن أن تسمى إلى المستوى الحقيقى
لهذه الروح في لغتها التى يتذوقها المتذوقون » ، هذا القول
لا يؤدى مطلقا إلى ما يؤدى إليه قول الأستاذ سلامة موسى :
« وكلنا الترحمين لا تحتفظ بالروح الأصل لقصة الشاعر الألمانى » ..
ذلك لأن هذا التعبير « لا يمكن أن نسمو » معناه في لغة
الألفاظ الدقيقة أن ترجمة المترجم الصادق الأمين وإن احتفظت
بروح النص في غير لغته فهى لا يمكن أن تحتفظ بجوهر تلك
الروح في صورته السكاملة ، ومثله في ذلك مثل المصور البارع
الذى ينقل إليك لوحة « الجيو كندا » لدافنشى .. ليس من
شك في أنه يستطيع أن ينقل إليك اللوحة نقلا أمينًا بما تزخر به
من الملامح والألوان والظلال ، ولكن الصورة التقليدية لا يمكن

أن توحى إلى الشعور المتذوق « بكل » ما فى اللوحة الطبيعية من
نبض وحياة ! وإذن فترجمة الزيات العربية تستوى وأى ترجمة
أخرى سواء أكانت الإنجليزية أم فرنسية ، ولا مبرر هناك لأن
يعسر الأستاذ سلامى موسى على الرجوع إلى هاتين الترحمتين !

هذا هو المعنى الدقيق الذى درنا حوله وقصدنا إليه ، وهو
يفترق كل الافتراق عن المعنى الآخر الذى دار حوله الأستاذ سلامة
موسى ، حين خطر له أن يجرد ترجمة الأستاذ الزيات وصاحبه من
« كل » احتفاظ بروح النص في لغته الألمانية !

نرى هل ينتظر الأديب الفاضل بمد هذه الكلمة للأستاذ
سلامة موسى شيئا من الأنصاف ؟ إن رأينا اليوم فى هذا الكاتب
هو رأينا بالأمر ، وإنه رأى قديم دفعنا المناسبة وحدها إلى
إعلانه ، موكم لنا فى بعض الناس من أراء لا ينقصها لتظهر غير
عدد من المناسبات !

رجاء الى القراء :

هناك قراء لا يزالون يبعثون إلينا بيمض الأسئلة التى تتماق
بأمور شخصية ؛ فهذا طالب حصل على التوجيهية يسألنا عن أى
الكليات أكثر ضمانا للمستقبل وتوجيها إلى الحياة ، وهذا طالب
آخر يسألنا النصح والمشورة ؛ هل يتزوج الآن أم يرجئ هذا
الأمر ليتفرغ لدراسته الجامعية ، وهذا طالب ثالث يكتب إلينا
راغبًا فى « إعطائه » بعض الدروس فى الأدب العربى ، وهذا
قارى رابع أضناه الحب وعذبه الأرق فهو محتاج إلى « فتوى »
غرامية تهيم له أن يظفر بمن يحب ، وهذا قارى خامس يرغب
فى « وساطتنا » لدى وزير المعارف لينقل أحد أقربائه من المدرسين
إلى القاهرة لأن الوزير الأديب فى رأيه أن يرد طلبًا للكاتب
الأديب .. إلى آخر هذه النماذج المعجبية من الرسائل الطريفة !
إن ودنا على هذا النوع من القراء هو أننا نمتد إلىهم من
الإجابة على أمثال هذه الأمور ، لأنها تخرج عن دائرة اختصاصنا
فى هذا المكان من الرسالة ، وإن وجادنا إليهم هو أن يقصروا
استئثارهم على الشؤون الأدبية والفنية !

أنور المعداوى